المحاضرة رقم 01

مفهوم علم الأنثروبولوجيا

أولا: مفهوم علم الأنثروبولوجيا:

ان مصطلح أنثربولوجيا هو تعريب لكلمة l'anthropologie الفرنسية، Anthropology الانجليزية، وكلا المصطلحين الفرنسي والانجليزي مشتق من اللفظتين اللاتينيتين Anthropos والتي تعني الإنسان، وكلمة logos أو logia والتي تعني منطق أو علم أو دراسة، وبالتالي فالمعنى اللفظي للاصطلاح هو علم الإنسان.

فإذا فحصنا قاموس le Nouveau petit Robert Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la Langue Française. فنجد أن لفظة أنثروبولوجيا أدرجت في المعجم الفرنسي عام 1932 وتدل على علم أو وصف الإنسان.[1]

أما في اللغة الانجليزية فقد ظهر اصطلاح "أنثربولوجيا" عام 1655 في كتاب مجهول المؤلف والذي كان تحت عنوان "Anthropology abstracted" وكان الموضوع الرئيسي للكتاب هو الطبيعة البشرية، وضم الكتاب قسمين أحدهما تطرق لعلم النفس، والآخر لعلم التشريح.([2])

يختلف معنى أو مفهوم علم الأنثروبولوجيا من بلد إلى آخر. خصوصا في فترة ما بعد عصر النهضة الأوربية وتحديدا في الفترة التي تشكل فيها علم الأنثروبولوجيا واكتسب الصبغة الأكاديمية، فكان ما يدرجه البريطانيون تحت مسمى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، يضعه الأمريكيون تحت عنوان الأنثروبولوجيا الثقافية، وأصطلح على تسميته بالاثنولوجيا في الجامعات والمعاهد العلمية بفرنسا وغالبا ما أدرجت تحت مظلة علم الاجتماع في هذا البلد.

وظل الوضع في البلدان الأوربية حول هذه المسألة الاصطلاحية يختلف من قطر إلى آخر تبعا لاختلاف المصالح القومية، وقبلها التباين في الخلفيات الثقافية لكل بلد، فقد ذكر "جون بواريبه" حول مصطلح"أنتروبولوجيا" أنها أول ما ظهرت كانت لدى علماء الطبيعة من خلال كتاباتهم إبان القرن الثامن عشر وكانت تعني تتبع ودراسة مسار التاريخ الطبيعي للإنسان، حيث يرى أن أول من أدخل كلمة" أنثروبولوجيا" هو " جوهان بلومينباخ" عالم الطبيعة الألماني للمقررات الجامعية الخاصة بتدريس التاريخ الطبيعي للإنسان، كما كان قد أشيع استخدام مصطلح أنثروبولوجيا مع الفيلسوف الألماني "ايمانويل كانط" من خلال منشوره "الأنتروبولوجيا" من منظور علمي.[(3).]

ثانيا: مفهوم الاثنوغرافيا :

---

[1]- *le Nouveau petit Robert Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la Langue Française..*

[2]- *Winick,c, Dictionary of Anthropology Littlefield Adams,*

[3] – طالب ناهي الخفاجي: نظرتنا المعاصرة إلى الكون

تشير كلمة اثنوغرافيا الى عملية وصف عادات وتقاليد الشعوب، وظهر مصطلح اثنوغرافيا لأول مرة عام 1772 عند المؤرخ الألماني شلاتزر، وكانت تعني دراسة الشعوب بصفة مخصوصة.

ولاحقا شاع استخدام مصطلح "الاثنوغرافيا" في بعض الجامعات في بعض البلدان على غرار الاتحاد السوفياتي سابقا، وكانت تعني عندهم الاهتمام بدراسة التنظيم الاجتماعي للمجتمع البدائي، مع التركيز على ما يحدث ويقع في هذه البيئات من تحولات وتغيرات عندما يتم هيكلتها إلى مجتمعات ودول جديدة، وما يصاحب ذلك من تأثيرات وتغيرات في الجانب الثقافي بشقيه المادي والمعنوي، وكذا الجانب الاجتماعي خصوصا فيما يتعلق ببروز الطبقات الاجتماعية، كما يهتمون بدراسة المشاكل المتصلة بالأعراق والانتماءات العشائرية والقومية للأقليات، وكذا مسار تطور المجتمعات الإنسانية من منظور ماركسي.[4]

ثالثا مفهوم الاثنولوجيا :

ظهر مصطلح اثنولوجيا عام 1787 لدى الفرنسيين، وتحديدا ولأول مرة في كتاب :" شافان Chavanne "من خلال دراسة حول التربية الفكرية، والاثنولوجيا هي المعارف الموسوعية التي يمكن أن نستخلصها من عمليات الوصف الاثنوغرافي، ويمكننا القول أن الاثنولوجيا هي علم مقارن، أي يقوم الاثنولوجي بالمقارنة بين الثقافات، وللقيام بذلك غالبا ما يعتمد في ذلك على المرحلة الاثنوغرافية.

ومن أبرز الأهداف التي تسعى الاثنولوجيا للوصول اليها هو استخلاص قوانين قابلة للتعميم الى حد بعيد حول العادات والتقاليد لدى الانسان عبر مختلف المجتمعات والثقافات، وعبر مراحل الزمن خصوصا في زمننا الحاضر حيث تقارب المجتمعات وتلاقي وتداخل الثقافات وما انجر عنه من تغيرات اجتماعية وثقافية، كما تعمل الاثنولوجيا اعتمادا على مقاييس خاصة الى تصنيف الثقافات الى أنماط أو أشكال أو الى مجموعات.

قد يقع اللبس أحيانا بين مدلولي مصطلح الاثنولوجيا والاثنوغرافيا، ولتوضيح الفرق بين الاثنولوجيا والاثنوغرافيا يمكننا القول أن المرحلة الإثنوغرافية من الدراسة أو البحث الأنثروبولوجي، ضرورية بالنسبة للباحث عند قيامه بإجراء دراسة أتنولوجية، حيث لا يمكنه الذهاب إلى مرحلة المقارنة والتحليل ما لم يقم بالمرحلة الأولى "المرحلة الإثنوغرافية أو الوصفية" وهي تعتبر عمل وصفي وتدوين وتسجيل لعناصر ثقافة الشعوب ومجريات حياتهم وأساليبهم وطرائقهم في العيش أي كل ما تحمله كلمة ثقافة من معنى. و بالتالي فالإثنوغرافي تقتصر وظيفته على الوصف و التسجيل دون القيام بعملية المقارنة أو التحليل ، ذلك أن هذه الوظيفة من مهمة الإثنولوجي Ethnologue.

يقول توماس بينمان T.Penniman:" إن هدف الأنثروبولوجيا سواء في الحاضر أم في الماضي هو الدراسة الاثنولوجية، بل إن هدف فروع الأنثروبولوجيا جميعها سواء الأنثروبولوجيا الجسمية، دراسات ما قبل التاريخ،

---

[4] – فرانسيس كريك: طبيعة الحياة، ترجمة أحمد مستجير

الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي أن تثري معلوماتنا الاثنولوجية وتضيف إليها، حتى تساعدنا على فهم الناس في أوضاعهم الحالية والكيفية التي انتهت بهم إلى هذا الموضع."[5]

ومن معاني الإثنولوجيا أنها ذلك الفرع العلمي الذي يتتبع بالبحث الأصول الأولى للنوع الإنساني العاقل و تطوره حتى العصر الحاضر من خلال ما توفر من معطيات ودلائل وإجراء المقارنة بينها، كما يهتم بدراسة الشعوب و السلالات العرقية من خلال المعطيات التاريخية من زاوية المقارنة أيضا، كما يركز علماء الاثنولوجيا على البحث في أصول الحضارات وكيفية تشكل ونشأة المناطق الثقافية ، و طرائق هجرة الثقافة و انتشارها من منطقة إلى أخرى والسمات النوعية المميزة لكل من هذه الثقافات، كما يركز الإثنولوجي على دراسة عناصر ثقافة المجتمعات حيث يقوم بدراسة الدين، و النظم السياسية و النظم الاجتماعية ، إضافة إلى العادات و التقاليد و المعارف، و الأفكار و الفنون و المثل العليا و وجملة الابتكارات .

وبعد تعريفنا لكل من الاثنوغرافيا والاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، فلا يتبادر الى الأذهان أنها ثلاثة فروع عليمة متباينة، فالأصح أنها ثلاثة مراحل بحثية متتالية منطلقها اثنوغرافيا ثم محطة اثنولوجية وأخيرا بحثا أنثروبولوجيا استخداما للمراحل الثلاث. أنها محطات بحثية تشمل تصورات فكرية ورؤية منهجية حول موضوع بحث واحد

رابعا : الأركيولوجيا :

ان مجال عمل الأركيولوجي هو الحفريات، الأمر الذي يتطلب من المختص في علم الاركيولوجيا أن يكون ملما لمفهومات و المعلومات البيولوجية ، و ذلك عندما يحاول إعادة بناء ثقافات ما قبل التاريخ من خلال دراسة خبايا و رواسب أجزاء الكائنات الحية و النباتية و الأدوات المادية المندثرة في الحفريات و لذلك صنف علم اركيولوجيا كفرع مستقل عن الانتربولوجيا العامة[6].

من الاهتمامات البحثية لعلم آثار ما قبل التاريخ هو التركيز على دراسة المجتمعات الإنسانية منذ ظهور ما يسمى بالإنسان العاقل، ويتتبع كيفيات ومراحل تطور ثقافة الإنسان، وذلك من خلال التركيز على بقايا ومخلفات الإنسان المادية، فيتم تشخيص وضعها البدائي الأول إلى رصد أهم التطورات التي حصلت وتشكلها في حالة راقية خصوصا مع بدايات العصر التاريخي، حيث اكتشاف الكتابة لدى الإنسان. ومن ثمت قدرته على وصف وحفظ منجزاته الحضارية عن طريق الكتابة.

---

[5] – حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا،

[6] – مُحَمَّد حسن غامري : مقدمة الانتربولوجيا العامة